لمجموعة المقابلات والمقالات التي كان الكاتب نشرها في كتاب تحت عنوان «هنا وهناك في ارض ـ اسرائيل» (١٩٨٢)، والتي اثارت، في حينه، ضجة كبيرة لفضحها تفكير المستوطنين في الضفة الفلسطينية المحتلة والمتدينين في اسرائيل، ومع ان عوز كان يبدو كمشاهد «متملّص ومراوغ» لا يريد الادلاء بشيء من عنده في كتابه ذاك، الاّ انه عزم، في روايته الجديدة هذه على ان يسدّ النقص الذي ابداه في كتابه السابق، الى درجة انه «تورّط» في عمله الروائي الاخير في اشكاليات طرح مسألة الصراع الدائر في المنطقة بشكل واضح.

رواية «علبة سوداء» هي رواية رسائل (اسلوب ساد في القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر) اضافة الى البرقيات. واحداث الرواية تدور سنة ١٩٧٦، ممّا يحمل دلالة كبيرة. فعاموس عوز اراد مناقشة بقايا «نصر» ١٩٦٧ والعلاقات السياسية والاجتماعية والفكرية المترتبة على الاحتلال والناجمة عن سياسة الضم الاسرائيلية.

مجموع افراد العائلة في «علبة سوداء» كانوا يتكاتبون ويتبادلون الرسائل؛ اذ انه بعد طلاق وانقطاع سبع سنين كتبت ايلانه سومو الى زوجها السابق البروفسور الكسي جدعون، الذي ترك اسرائيل، ليساعدها في ايجاد ترتيب لابنهما بوعز المطرود من المدرسة الزراعية. (العلبة السوداء هي الطلاق الذي نوقش بعد انقضاء عشر سنين عليه). وقد ردّ الكس بسرعة على الرسالة. وتطور الحوار ثانية بين الزوجين السابقين. وتبادل زوج ايلانه الثاني، ميشيل سومو، الرسائل مع بوعز وجدعون أيضاً. وكتبت راحيل، التي تقيم في كيبوتس في الشمال، رسائل الى اختها ايلانه التي تقيم في القدس. واشترك المحامي مانفريد زكهايم، المسؤول على توظيف النقود لصالح عائلة جدعون، بكتابة الرسائل أيضاً. واستمرت المراسلة بين افراد العائلة لثمانية شهور. وفي النهاية ـ ان كانت هناك ثمة نهاية ـ يلتقي افراد العائلة في «زخرون يعقوب»، داخل «الخط الاخضر»، للعناية بجدعون المريض بسرطان الكلية وانضمت الام ايلانة سومو، مؤقتاً، الى زوجها السابق وابنها بوعز.

للشخصيات، في الرواية، دلالات هامة جداً. فالكسي جدعون يتحدّر من اصل غربي لعائلة روسية، وهو رجل فكر وحرب، شارك في اكثر من حرب وقتل الكثير من العرب.

بعد الطلاق، ترك الكسي اسرائيل وكتب كتاباً أثار جدلاً واسعاً: «العنف اليائس؛ بحث في التطرف المقارن». وعلى الرغم من ان ما يرد في الرواية من اقتباسات حول الكتاب المذكور مختلق ومفتعل الى اقصى الحدود، فانه يجدر نقل احد هذه الاقتباسات الهامة: «الكتاب (العنف اليائس) يتهم: الفاشية، والقومية، والصهيونية، والعنصرية، والعسكرية واليمين المتطرف» (الاقتباس مأخوذ عن مجلة سوفياتية).

أمّا سومو، فكما يبدو، في الرواية، فانه شخصية مقولبة (منمطّة) اجتهد الكاتب في صنعها ولم ينجح في اضفاء أبعاد حقيقية عليها. فسومو اراد طرد العرب من البلاد، لكنه يتظاهر بالرحمة والرأفة والتسامح المسيحي، وأشياء من هذا القبيل تتناقض، تمام التناقض، مع مواقفه وارائه بشكل فاضح. وهو مثّل، في الرواية، اليمين المتطرف في اسرائيل. فسومو من مواليد شمال افريقيا (الجزائر) وابن لعائلة فقيرة وخرّيج حركة «بيتار» في فرنسا، ومتدين، ويعمل معلماً للفرنسية في مدرسة دينية. وقد وجد سومو في حركة «اغودات يسرائيل» (حركة دينية رجعية متطرفة) مكاناً مناسباً لتحقيق آرائه. ومن خلال هذه الحركة فكر بالعمل على تفريغ البلاد من العرب، وشراء الأراضي، واستغلال أموال الكسي جدعون لشراء ممتلكات في الخليل مع المحامي مانفرد زكهايم. واجتهد سومو في ضم الابن، بوعز،